توظيف التراث في بنية نصوص الخطاب عند أيمن العتوم

دكتور/ حسين عمر دراوشة[1]

الملخص

يسعى هذا البحث إلى بيان طبيعة توظيف التراث وأنواعه في نصوص روايات أيمن العتوم، والحديث عن فلسفة توظيف التراث ومرجعياتها في نصوص الخطاب الروائي عند أيمن العتوم، وبيان انعكاساتها على تبليغ مقاصد النص في بنية الخطاب الروائي عنده. استخدم الباحث المنهج الوصفي، وتوصل بعد الدراسة والتحليل إلى نتائج عديدة منها: وظَّف العتوم مادة الموروث عبر التاريخ والزمن في نسقيات لها تأثيرها في فهم مقاصد النصوص وتذوق جمالياتها، وتأويل مكنوناتها الدلالية، ومثَّل التراث في روايات العتوم بناء نصي متفاعل شكَّل مرجعيات أيديولوجية وثقافية بالنسبة للمتلقي، وشحن النص الروائي من ناحية البنية والدلالة، وتعددت مصادر استلهام التراث وأحداثها الأدبية في سياق نصوص الخطاب الروائي عند أيمن العتوم، فأنتج ذلك تفاعلات لها ترابطها وأبعادها على النسيج النصي وفهم مقاصده ومغازيه وتلقي رسائله، ودراسة طبيعة مادة التراث وتكويناتها اللغوية وتشكيلاتها الفنية والموضوعية في روايات أيمن العتوم.

الكلمات المفتاحية:

فلسفة التراث، العتوم، الروائي، بنية نصوص.

(١) جامعة الملك فيصل – المملكة العربية السعودية.

Abstract

This research aims to clarify the nature of employing heritage and its types in the texts of Ayman al-Atoum's novels, and to talk about the philosophy of employing heritage and its references in the texts of Ayman al-Atoum's narrative discourse, and to show its implications for conveying the purposes of the text in the structure of his narrative discourse. The researcher adopted the descriptive method. The study concluded to several results, the most important of which were: Al-Atoum employed the material of inheritance throughout history and time in a way that have an impact on understanding the purposes of texts, appreciating their aesthetics, and interpreting their semantic elements. The heritage in Al-Atoum's novels represented interactive text structures that formed ideological and cultural references for the recipient. And the novelist text was loaded in terms of structure and significance, and there were many sources of inspiration for heritage and its literary events in the context of the texts of the narrative discourse of Ayman al-Atoum. Ayman Al-Atoum`s novels.

Keywords:

Philosophy of heritage, Atom, novelist, text structure.

مقدمـــــة

يعد التراث من مقومات البناء والوجود الإنساني، فهو يرسم هوية الذات ويحدد ملامح الشخصية الحضارية في تفاعلاتها وسلوكياتها وألفاظها، فالمجتمع الذي يمتلك تراثاً خالداً تكون هويته واضحة المعالم، وتبرز بشكل لافت في الإبداعات الأدبية وأطروحاتها الموضوعية والفنية، فيمثل توظيف التراث مرتكزاً دلالياً له شيفراته التي تكتنزها النصوص في مشكِّلاته الأساسية، والتي بدورها تمثل مجمل الخطاب الأدبي المطروح في بنية نصوص روايات أيمن العتوم، فيحوي الخطاب بين نسقياته ومنجزاته التأويلية التي يشتملها دلالات ومقاصد تبليغية مسكوت عنها، وتجسد في جوهرها نصوص غائبة تتعلق بطبيعة ظروف الإبداع الولادة الأدبية، ويُؤثر ذلك في فاعلية النصوص وأداء رسائلها وطبيعة تكويناتها عند إعادة خلقها من جديد، ويُؤثر كذلك فيتنظيم دوائر الإبداع(المبدع، النص، المتلقي)؛ لذا يسعى البحث إلى بيان فلسفة توظيف التراث في بنية نصوص الخطاب الأدبي عند أيمن العتوم، وذلك من خلال النقاط الآتية:

أسباب اختيار الموضوع:

١. عدم تطرق الدراسات الأكاديمية السابقة إلى دراسته دراسة موضوعية وفنية من منظور فلسفي يبرز حقيقة استدعاء التراث وتطبيقاته.
٢. التعرف على قيمة التراث واستلهامه واستحضار جزئياته في متن الخطاب الروائي وأطروحاته.
٣. الحديث عن توظيف التراث في معمارية نصوص الخطاب الروائي في ممارسة الإبداع عند أيمن العتوم.

أهمية البحث:

١. إثراء التجربة الروائية الأردنية بما جادتْ به القريحة الروائية عند العتوم.
٢. إضافة دراسة جادة جديدة لمكتبة الرواية العربية؛ ليتسنى للمبدعين والباحثين والدارسين والجهات ذات العلاقة الاستفادة من موضوع البحث ومحاوره وأفكاره.

أسئلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

- ما فلسفة توظيف التراث في بنية نصوص الخطاب الروائي عند أيمن العتوم؟

وينبثق من السؤال الرئيس، الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما طبيعة توظيف التراث وأنواعه في نصوص روايات أيمن العتوم؟
٢. ما فلسفة توظيف التراث ومرجعياتها في نصوص الخطاب الروائي عند أيمن العتوم؟
٣. ما انعكاسات فلسفة توظيف التراث على تبليغ مقاصد النص في بنية الخطاب الروائي عند أيمن العتوم؟

أهداف البحث:

١. بيان فلسفة توظيف التراث في بنية نصوص الخطاب الروائي عند أيمن العتوم.
٢. الكشف عن طبيعة توظيف التراث وأنواعه في نصوص الخطاب الروائي، ومرجعياته الدلالية ومرتكزاته التأويلية في البنية النصية العامة للخطاب الروائي المطروح.
٣. الحديث عن انعكاسات توظيف التراث على فهم رسائل النص وتفكيك شيفراته الدلالية المتعلقة بالمقاصد المطروحة في روايات أيمن العتوم، وأثر ذلك على تلقي النصوص الروائية والتفاعل معها.

منهج البحث:

يستخدم البحث المنهج الوصفي مع استحضار نماذج من روايات أيمن العتوم، وهي:(اسمه أحمد، نفر من الجن، كلمة الله).

البحوث السابقة:

تقترب من موضوع البحث مجموعة من البحوث والدراسات، يمكن بيانها مرتبة من الأحدث إلى الأقدم، على النحو الآتي:

١. بحث بعنوان:" الآخر في رواية كلمة الله لأيمن العتوم"، ظاهر لرقط، مجلة دراسات وأبحاث، عدد ٢، مجلد ١٣، جامعة الجفلة، الجزائر ٢٠٢١م، ص٦٢٤-٦٣١.

٢. بحث بعنوان:" الرؤية السردية في رواية أنا يوسف للكاتب أيمن العتوم"، نفسية عبد الفتاح، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، عدد ٣٩، جزء ٢، مصر ٢٠٢٠م، ص٤٢٥١-٤٢٧٨.

٣. رسالة ماجستير بعنوان:" شعرية السرد في روايات أيمن العتوم"، أمل إرحيم، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠١٩م.

٤. بحث بعنوان:" الرواية الدينية: أنموذجان من العقدين الأخيرين في الأردن"، عاصف الخالدي، مجلة أفكار، عدد ٣٥٩، وزارة الثقافة، الأردن ٢٠١٨م، ص٨٣-٨٧.

٥. رسالة ماجستير بعنوان:" الفضاء الروائي في رواية يا صاحبي السجن (أيمن العتوم)"، مصطفى بن حامد، جامعة محمد بوضياف، الجزائر ٢٠١٧م.

٦. رسالة ماجستير بعنوان:" اللغة والسرد في رواية السجون التشكيل والوظيفة عند أيمن العتوم دراسة وصفية تحليلية"، أسامة حسن، جامعة طنطا، مصر ٢٠١٧م.

٧. بحث بعنوان: " عتبة العنوان في روايات أيمن العتوم" ، أسماء شنقار، مجلة سرديات، الجمعية المصرية للدراسات السردية، عدد ٢٣، القاهرة ٢٠١٧م، ص٤٥-٧٤.

٨. بحث بعنوان: " خاوية لأيمن العتوم" ، أماني بسيسو، مجلة أفكار، عدد ٣٣٦، وزارة الثقافة، الأردن ٢٠١٧م، ص١٢٥-١٣٠.

٩. بحث بعنوان: "The Arab Spring Revolutions in the Contemporary Arab Novel" ، رشا جليس، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، عدد ٢٧، لبنان ٢٠١٧م، ص١٥٠-١٦٢.

١٠. بحث بعنوان: " الأنماط التراثية في شعر أيمن العتوم: ديوان خذني إلى المسجد الأقصى نموذجاً" ، عباس فارساني، مجلة آداب الكوفة، مجلد ١٠، عدد ٣٨، العراق ٢٠١٦م، ص١٤٥-١٦٦.

التعقيب على البحوث السابقة.

نقاط الاتفاق:

١. ركزت البحوث السابقة على وصف المنتج الروائي والشعري بشكل عام.

٢. احتوت على إشارات تتعلق بتوظيف التراث من خلال الحديث عن التناص وما يتعلق به، وهذا يقترب من موضوع البحث.

٣. اهتمت الدراسات بجوانب السرد واللغة والشعرية وموضوعات تختص بالآخر والرؤية.

نقاط الاختلاف:

١. ركزت هذه الدراسة على تحليل استلهام التراث وتوظيفه في نصوص الخطاب الروائي عند أيمن العتوم.

٢. التعمق في تفسير توظيف التراث نظرياً وتطبيقياً من خلال استحضار نماذج من المنتج الروائي الذي تم تحديده في منهج الدراسة – سالف الذكر-.

٣. تجمع الدراسة بين المكون الموضوعي والفني في دراستها لموضوع توظيف التراث في الخطاب الروائي عند العتوم.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وذلك على النحو الآتي:

- المبحث الأول: طبيعة توظيف التراث وأنواعه في نصوص روايات أيمن العتوم.
- المبحث الثاني: مرجعية توظيف التراث في نصوص الخطاب الروائي عند أيمن العتوم
- المبحث الثالث: انعكاسات توظيف التراث على تبليغ مقاصد النص في بنية الخطاب الروائي عند أيمن العتوم.

المبحث الأول

طبيعة توظيف التراث وأنواعه في نصوص روايات أيمن العتوم

يمثل التراث مرتكزاً رئيساً في بنية نصوص الإبداع الروائي عند أيمن العتوم، ويمثل ذلك خطاباً كلياً شاملاً في مختلف السياقات التي تحمل أطروحات ومكونات ومعطيات مُؤدلجة؛ لأنها تعبر عن " تصور للعالم يتجلى ضمنياً في الفن وجميع تظاهرات الحياة الفردية والجماعية"[(١)]، فوظّف العتوم ذلك بحنكة أدبية لها أصولها وتمثيلاتها وتجلياتها في نص الخطاب الروائي وتفاعلاته المختلفة على مستوى النص وخارجه، فاستلهام التراث في بنية النص الروائي يعد من التكوينات الأساسية للدلالات والمعاني التي يسعى العتوم إلى التعبير عنها، ويستدعي ذلك الوقائع والأحداث، مما يمثل بنية سردية متفاعلة، فهذه الأحداث تبنى جزئيات

(١) بلحس، عمار: الرواية والأيديولوجيا، المطبعة والوراقة الوطنية، ط٢، مراكش ٢٠١٦م، ص١٣.

كوحدات حكائية صغرى؛ لتكون الحكاية الأساسية في الإبداع الروائي عن العتوم، فيسهم السرد في تنظيم الحكاية والموضوع، وينقل لنا تفاصيلها أو كليتها عن طريق المخيلة، ولكنه أيضاً يفتتها ويخترقها بحثاً عن نقطة البداية، وعن مسار جديد للأحداث، وقد يكون ذلك النهاية[1]، وفي خضم ذلك يظهر الإبداع الروائي المتألق للعتوم في توظيف الموروث ومعطياته المتراكمة في متن الخطاب الروائي، وهي عملية ليست باليسيرة؛ لأنها تتطلب أسلوباً رصيناً يبلور الثابت ويجعله متحوراً ومتغيراً وفقاً للرؤية والتشكيل الذي ينطلق منه المبدع، ومن هذا المنطلق لقد تنوع الإنتاج الروائي عنده، واشتمل على أنواع متعددة تتمثل في القيم والثوابت الرئيسة التي يُبنى عليها النص في أطروحاته وتكويناته، وتكون ذات أعماق نفسية لها أصولها الدلالية في فكر الإنسان العربي المسلم، فوظف العتوم التراث من أحداث ووقائع ومجريات اكتست أثواب سرية وأساليب وصفية في البنية الكلية العامة للنص المنجز الذي أبدعه العتوم، ويمكن بيانه من خلال النقاط الآتية:

أولاً: التراث الديني.

استخدم العتوم التراث الديني في عقد أحداث رواياته ومجرياتها، فتنوعت أساليب استلهام التراث الديني واستحضاره، وذلك على مستوى النصوص الدينية، فيقول الراوي: "وكانت أمي تسترق السمع وهي تحاول أن تفهم بين الأصوات المختلطة ما يدور في الغرفة المجاورة في هذا الاقتراع الحاسم، الذي سيكون له ما بعده..."[2]، استخدم التناص مع القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ [الحجر: ١٨]، أسبغ على بنية الرواية مكتسباً دلالياً متعمقاً له أصوله وتأثيراته في رسم المشهد التصويري في الخطاب الروائي المنجز، فاجتمعت تفاعلات التراث مع تأثيرات التصوير الحدثي على مستوى مقاطع الرواية

(١) يُنظر: التازي، محمد: السرد في روايات محمد زفزاف، مطبعة دار النشر المغربية، ط١، الرباط ١٩٨٥م، ص١٩.

(٢) العتوم، أيمن: اسمه أحمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت ٢٠١٧م، ص١٥.

وفصولها وأقسامها ومكوناتها العامة، وعلى مستوى أحداث الدعوة في سبيل الله (عز وجل)، والتعرض للهداية والاستقامة، فعقد حدثه الروائي على هذا المضمون، فنسج التفاصيل الروائية ومجرياتها على مستوى البنية العامة للنصوص المنجزة والمطروحة، فيقول في روايته "كلمة الله" التي جرت أحداثها حول فتاة تنتمي إلى الديانة المسيحية، والتي قد أسلمت ودخلت الدين الإسلامي، وامتزج عالم اللاهوت المسيحي في أحداث الرواية، وتداخلت درجات الخطاب الروائي وأخذت منحنيات تراثية متنوعة، لها مستوياتها وتمثيلاتها الدلالية في نصوص الخطاب الروائي؛ فيقول الراوي: " وستعرفونني، وستدركون ولو بعد حين من أكون، فلا ترجموني بالغيب، ولا تظنوا بي كل الظنون، إنما أنا كلمة الله، وروح منه في الخالدين، جرى عليّ الناموس الذي جرى على أخويّ، إلا أنَّ الله قال لي: "كن" فكنتُ "[1]، يتضح مدى الاتساق مع المُعطى التراثي الديني القائم على استدعاء قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧]، أضف إلى ذلك السرد بخطاب ديني يبرز العمق الفكري في مجريات الحدث الروائي الذي نسج على منواله العتوم روايته "كلمة الله"، ووظف من هذا النص الديني عنوان روايته" كلمة الله"، التي توحي بالبحث عن الحقيقة واستجلاء معالمها في المتن الروائي، برزت في الكتابة الروائية عند العتوم وظيفية التراث الديني في المعالجات النصية ومضامينها بشكل لافت للنظر، فألبس الدين ثوباً دلالياً يبلغ من خلال الموروث الديني ما تجيش به نفسه وما يقتنع به من أفكار وأطروحات لها صداها النصي في المنتج الروائي، فأصبح للعتوم أسلوباً روائياً يعرف به، فالناظر لروايته "نفر من الجن" يدرك ذلك تماماً في فعالية الإسقاطات الدينية التي تحمل مضامين تثويرية وتنويرية متمردة، حاول العتوم جاهداً من خلالها أن يسبح في عوالم تراثية مختلفة، لها هالاتها الدلالية في مختلف

(١) العتوم، أيمن: كلمة الله، دار المعرفة، ط٣، القاهرة ٢٠١٥م، ص ١٤.

السياقات المطروحة، وعلاوةً على ذلك استطاع بخطابه الروائي التعبير عن المعادلات الموضوعية الجوهرية في خضم تكوينات المنتج الروائي الأصيل، وانفتاحاته الدلالية في مختلف الحقول والأحداث والمجريات؛ كل ذلك يسهم في فاعلية المشهد الروائي وحيويته واحتدام التفاعلات النصية داخل المعمارات الفنية للجنس الروائي وبناءاته المختلفة؛ بمعنى السبك النصي للمادة التراثية التي وقع فيها السرد أو الوصف الروائي عند العتوم في صلب نصوص رواياته، فأهم ما يتميز به الخطاب الروائي هي قدرته على إدخال أجناس فنية أخرى إلى جنسه، وتلعب هذه الأجناس المتخللة أدواراً بنائية وجمالية تسهم في تخصيب النص وتفعيل مساراته السردية وتعديد أصواته ولغاته، فهذه الأجناس حين تدخل إلى جسم النص الروائي فهي تكسر وحدته وتسهم في تجديد شكله وبنائه العام، ويمكن للأجناس المتهللة أن تكون أدبية أو غير أدبية وتحتفظ في الغالب بأسلوبها وأصالتها اللسانية واللغوية[1]، ومكوناتها المفتاحية الرئيسة التي تحملها في أصول أبنيتها.

ثانياً: التراث الشعبي.

وظّف العتوم التراث الشعبي؛ لارتباطه بالقيم والمبادئ والثوابت التي يُؤمن بها الشعب العربي المسلم، فهو أحد أبناء الأمة العربية والإسلامية، يمتلك توجهات وآراء ومواقف نابعة من جذور امتداداته الشعبية المتوارثة، التي تجلت فيما تعارف عليه الشعب العربي، فوظفه بوضوح في ثنايا خطابه الروائي المنجز في مختلف روايته وأحداثها المتراكمة ومجرياتها ومشاهدها ووصفها وسردها؛ فيقول الراوي: " الناس قالوا: إنَّ عيناً أصابته. آخرون تكهنوا بأنَّ امرأة من الحصادين التي بهرها جماله وكانت عاقراً هي التي سحرته كيداً لأمه التي تتباهى به أمام العاملين في الحقول "[2]، وقال الراوي أيضاً: " لكن أمي تابعت بذات اللهجة

(١) يُنظر: الحسيب، عبد المجيد، الرواية العربية الجديدة وإشكالية اللغة، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد ٢٠١٤م، ص١٤١.
(٢) العتوم، اسمه أحمد، ص١١.

الواثقة لتؤكد على أبي:" ماذا ستسميه أعبد الله أم أحمد؟". "اهدئي يا امرأة، وصلي على النبي. حين يشرّف بالسلامة، سيكون من السهل أن نسميه. وقام. كان يُريد أن يهرب من نفسه، ومن تلك الجمل التي يعجّ بها فضاء القرية "ألا ترى أن تنجب ولداً يقيك شر المصائب، ويقف إلى جانبك عندما تكبر كان يشتمهم في سره، وهذا باسم ماذا تسمونه يا فارغي العيون، فيسمع همسهم: باسم لن يعيش طويلاً، وإذا عاش فلن يكون قادراً على أن يحمل منجلاً في حقول القمح، ولا سلاحاً في ميادين الحرب.. فيرد عليهم دون أن يسمعوه: سيعيش عمراً أطول من عمري ومن أعماركم، وسيظل الناس ينادوني به"أبو باسم" وسأفتخر بأنه بكري الذي حمل اسمي..."[1]، وظّف الروائي مضامين الكلام الشعبي واستخداماته في المجتمع العربي، واستعرض العادات والتقاليد التي توارثها العرب، وبقيت خالدة مع تقادم الزمن، فهذه النبرة التراثية لها حضورها الدائم واللافت للنظر في صلب الرواية العربية المعاصرة، ويجسد ذلك أصول المنتج الروائي وتداولياته في أوساط الجمهور، فالمضمون الشعبي يجسد الجانب الحياتي المتفاعل للتراث الذي استخدمه العتوم في كتابته الروائية وأسلوبها.

ثالثاً: التراث التاريخي والقومي:

استخدم الروائي التراث التاريخي والقومي من منطلقات سردية ووصفية لها محاورها الدلالية في بنية نصوص الخطاب الروائي في مجمل الأحداث والتفاصيل التي اشتملت عليها روايات أيمن العتوم، فتجلت مضامين الحس التاريخي والقومي المرتبط بحال الأمة العربية والإسلامية، فيقول الراوي:" في العاشرة من عمري، دمرت القوات الإسرائيلية المفاعل النووي العراقي، وكنتُ في مشاعري عابراً للحدود، فانتكست انتكاسةً شعوريةً حادة، والحقيقة كان أمراً غير خاضع للتحليل

(١) العتوم، اسمه أحمد، ص١٢.

بسبب صغر سني من جهة، وبسبب أنَّ الأمر حدث بعيداً في العراق لا في الأردن، فما الذي جعلني أنهار نفسياً وأمتنع عن الطعام لأيام بسبب ذلك القصف؟ لستً أدري الإجابة بدقة حتى اليوم، ولكنني وجدتُ مسوغاً للأمر؛ إذ أن يد إسرائيل هذا الكيان المغتصب كانت موجودة. وعليه فإنَّ هذه الدولة اللقيطة التي تحكم العالم اليوم هي التي تسبب لي هذا القهر والغيظ وهذا العداء الذي ينمو في أعماقي مثل شجرة شوك لا تقتلع إلّا وهي تجر آلاماً فادحة"[1]، يُلاحظ أنَّ الحدث التاريخي المتمثل في العربدة الصهيونية والغطرسة الاستعمارية التي ضربت أطنابها في الأمة العربية والإسلامية، قد جعلت الروائي يستلهم ذلك الحدث الذي ألمّ بالأمة في العصر الحديث، واستدعى الموروث بذكره عنجهية المحتل الغازي، والصراع العقائدي مع الصهاينة واغتصابهم لأرض فلسطين، وإقامتهم لدولتهم المارقة التي تُدعى "إسرائيل" ذلك الاسم التوراتي الذي يعبر عن العقيدة والأيديولوجيا في إثبات الذات وتنمية الوعي، فتطرق الروائي إلى قضايا الموروث التاريخي والقومي القديم والحديث، واستعرض مجمل الوقائع والأحداث التي نجمتْ عن حالة الصراع الذي تشهده المنطقة العربية، فهذه معادلات موضوعية لها وجودها وتمثيلاتها في بنية الرواية ودلالاتها.

رابعاً: التراث الأدبي:

واستدعى الروائي أيمن العتوم التراث الأدبي في ثنايا نصوص رواياته، فانسبكت الأجناس الأدبية مع البنية السردية وتقنياتها وأسلوب الوصف وتنوعاته في مجريات الأحداث الروائية ومشاهد الصور الفنية في متن الإنتاج الروائي، فيقول الروائي: " أتذكر لليوم أنشودةً أخذناها في الصف الأول الابتدائي للشاعر سليمان العيسى، يقول فيها:

فلسطين داري ××× ودرب انتصاري

(١) العتوم، اسمه أحمد، ص٦٣-٦٤.

تظل بـــلادي ××× هوى في فؤادي

ولحناً أبيا ××× على شفتيّا

وكنتُ أرفع صوتي بأعلى ما يمكنني حين أقول: " فلسطين داري" . وأضع يدي على فؤادي وأنحني حباً وإجلالاً حين أقول: " تظل بلادي هوى في فؤادي" . وأكثر ما كان يبدو الغضب في صوتي، حين أردد محاولاً تفخيم نبرتي لكي أبدو فيها رجلاً غاضباً المقطع الذي يقول:

وجوه غريبة ××× بأرضي السليبة

تبيع ثمار ××× وتحتل داري

وحين ترد كلمة (ثمار) أتخيل اليهود وقد استولوا على كرومنا، وصاروا يبيعون (سحارات العنب) من مزارعنا، وقد طردنا خارج تلك الكروم، وأشهرت البنادق في وجوهنا، فتثور ثائرتي، ويخشن صوتي، وتبح حنجرتي لكثرة ما أرفع صوتي مستنكراً"[1]، استلهم الروائي التراث الأدبي من الشعر، ووظف بالأخص الأناشيد المشحونة بالعاطفة التي يتطلب إلقاؤها صوتاً جهورياً حاسياً، يعبر عن عمق التعاطف الشعبي في ذات المبدع الروائي وإنتاجه المطروح لجمهور القرّاء، فرسم الروائي العتوم صورة تراثية متفاعلة انسجمت بمضامينها ومراميها في التقنيات السردية التي وظّفها من استرجاع للماضي، واستحضار الحاضر بفكر تنويري وتثويري متمرد يأبى الذل والهوان، تلك القيم الخالدة في تراث الأمة وأبنائها الأحرار، فحتى النصوص تعرف الغضب؛ لأنَّ الحاضنة الشعبية لا تعتد إلا بما تُؤمن به بعيداً عن الزيف والبهرجة والهرج والمرج والهرف في عوالم السياسة وأبواق الإعلام، فمركزية الإيمان المتعمق بمنجزات شعوب الأمة، ساهمت في استحضار الموروث بصورة متفاعلة، تشكل في مجملها ومفصلها أيقونات دلالية لها مركزيتها وتجلياتها وأبعادها في الخطاب الروائي الذي أبدعه العتوم، كل ذلك أنتج بنية نصية

(١) العتوم، اسمه أحمد، ص٥١-٥٢.

تتسم بالحيوية بين أقطاب العملية التواصلية ودوائر الإبداع، مما يوحي بالفلسفة الشمولية التي استطاع من خلالها الروائي العتوم توظيف الأنواع المختلفة من التراث من الناحية الموضوعية وما يرتبط بها من رسائل ومضامين ومحاور، بالإضافة إلى طبيعة الأجناس الأدبية التي انسبكت في بوتقة الخطاب الروائي ومجرياته؛ بمعنى أضافت معماريات فنية لها بناءاتها في نصوص الروايات التي ألّفها الروائي، والتي حملت ترميزات ومعادلات موضوعية لها أصولها وتشعباتها في مختلف الحقول التراثية، فالناظر لروايات العتوم؛ مثل: "يا صاحبي السجن، يسمعون حسيسها، اسمه أحمد، وتسعة عشر، طريق جهنم، ذائقة الموت، حديث الجنود، نفر من الجن، كلمة الله، خاوية"، يلمس الشعور المتعمق والفكر الواعي في إعادة تشكيل التراث من خلال إنتاج نصوص ذات درجة قصدية متقدمة، وينعكس ذلك على بناء الذات وتعزيز مكوناتها الأيديولوجية في بنية نصوص الخطاب الروائي.

المبحث الثاني

مرجعية توظيف التراث في نصوص الخطاب الروائي عند أيمن العتوم

يعدُّ توظيف التراث من العوامل التي ارتكز عليها العتوم ورجع إليها موظفاً إياها في تكوين نصوصه والإبحار في إبداعاته المتميزة في عوالم شاسعة، واختار ببراعة أحداثه الرواية وانتقاء معادلاتها الموضوعية، فصور مجريات رواياته من خلال المُعطى التراثي الخالد لأمة العرب والمسلمين، حتى على مستوى الحدث الروائي بيّنه بالإسقاطات التي ساقها في مكونات الرواية وأحيازها وفضاءاتها المختلفة والمتنوعة في شتى المناحي، فبنى روايته يا صاحبي السجن بتناص ديني من القرآن الكريم، وذلك من قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، فجاء الموقف الروائي مرتبط بالجانب الروحي التراثي

الذي يسمو بالذات المبدعة عن الموجود، من خلال استذكار الماضي واستلهام التراث في الوقائع الحرجة، فتشهد الرواية المعاصرة عودة حديثة نحو التفكير بشأن الماضي، ولكن هذه العودة تطرح جانباً من الرواية التاريخية التقليدية، وتعمد إلى التركيز على استكشاف الذاكرة، والصدمات التاريخية، والطريقة التي يمكن بها للماضي أن يُؤثر بها على الحاضر فضلاً عن دفعه لمرتقيات أعلى شأناً[1]، علاوةً على التفاعلات النصية مع الشكل والمضمون في الرواية ذاتها، وتعدى الأمر ذلك إلى النسقيات والعلامات التي يتركها الروائي المبدع العتوم في ثنايا روايته، فمنطلقات توظيف الموروث عند الروائي المبدع العتوم لها ارتباطاتها العميقة في تاريخ أمة العرب والمسلمين، ولم يقتصر الأمر على ذلك، فاستقى مادته الروائية من النصوص الدينية وتجلياتها في مختلف الأحداث التي لها علاقة بذلك، فنسج روايته "كلمة الله" بمزيج من الدين الإسلامي والدين المسيحي، وذلك على إثر حادثة وفاة فتاة مسيحية أسلمت، فلقيت حتفها على يد أهلها من أنصار الكنيسة، تحدث الروائي عن ذلك ونسج أحداث روايته من منطلقات لها تمثيلاتها في بنية الخطاب الروائي، والأهم من ذلك لها ارتباطاتها المتشعبة وتناصاتها من نصوص الدين المسيحي ومعطياتها، ويبيّن ذلك الوشائج الأيديولوجية لمكونات الرواية، ويرتقي بها من خلال شحنها بالدلالات المكثفة عند إبداع النص الأدبي، فمن العلامات الفارقة في الإنتاج الروائي عن العتوم توظيفه الجيد للموروث الديني، ولعل ذلك يرتبط بالعمق الفكري والثقافي كمرجعية رئيسة لها توجهاتها ومساربها ومساراتها في البنية اللغوية، خصوصاً تكوين النص الروائي وأطروحاته التي يتم أدلجتها في مختلف المواقف والمجريات والأحداث، ويجسد ذلك فلسفة واضحة تعبر عن وحدة منطقية وانسجامية في عناصرها التفسيرية ومنظوراتها التحليلية لكل مسائل

(١) إيغلستون، روبرت: الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جداً، ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي، دار المدى، ط١، بغداد ٢٠١٧م، ص١١٥.

وقضايا ومهام التاريخ والمجتمع، وهي بذلك أولى درجات الأيديولوجيا[١]، التي وظّفها العتوم في متن خطابه الروائي، وتحمل في ثناياها تنوير واستبصارات متنوعة تستهدف القطاعات والمجالات التي يسعى الرواة المعاصرون من خلالها إلى استكشاف انطباعاتهم الشخصية عن الواقع، وتهذيب حياة اللغة الأدبية وصقلها، والتمرد بوجه القناعات الأخلاقية والإبداعية السائدة، وفتح آفاق الرواية دوماً أمام حقيقة التغيير العتيدة[٢]، فعمد الروائي العتوم إلى تبليغ ذلك بإقامة الوشائج مع التراث وتراكمياته وثروته عبر الزمن، بالإضافة إلى بسط نفوذه في هذا المضمار، ولم تعد قضية توظيف التراث شكلية أو اعتباطية عبثية إنما هي قراءة أخرى للنصوص الروائية المنجزة، تحتاج إلى استبصار متعمق؛ حيثُ يتم التعامل مع النص المتناص في بنية الجنس الأدبي الروائي المطروح، ثم النظر المتعمق والفهم السليم للنص في بنيته الأم التي ينتمي إليها.

وبرزت سمة التنويع في توظيف الموروث عند الروائي العتوم في إبداعاته المتميزة، فطفق يغرف من معين الروابط التاريخية ومجرياتها في حياة الأمة العربية والإسلامية، ويجسد ذلك عامل القومية وتفاعلاته مع الحياة الأدبية المعاصرة، التي تداخلت فيها القضايا وتشابكت المسائل، وبرزت التشوهات النصية بمختلف أنواعها، وانتشرت الانحرافات التي لا أصول لها، فيتّضح أنَّ بنية النص الروائي عند العتوم لها خصوصيتها النابعة من تجربة إنسانية عربية إسلامية متعمقة، وتفهم ذاتها لذلك برع في رسم خيوط الإبداع في متن رواياته من خلال الارتكاز على المعطى التراثي للأمة على مر الدهر، فلم تكن مادة التاريخ غائبة عن مخيلة الروائي العتوم، وبيّن في أطروحاته الروائية القيم والمبادئ القومية التي تتجلى فيها خصائص الأمة العربية والإسلامية بوضوح، فاستقراء معالم النصوص الروائية لها حضورها المتسامي

(١) يُنظر: بلحس، عمار: الرواية والأيديولوجيا، ص١٤.

(٢) يُنظر: ماتز، جيسي: تطور الرواية الحديثة، ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي، دار المدى، ط١، بغداد ٢٠١٦م، ص٣٥٩.

في جو الإبداع، خصوصاً عندما يمتشق المبدع يراعه لينسج أحداث روايته ومركزيتها، ويختار شخصياته الرئيسة والثانوية وتداخلاتها، ويوظّف الفضاء الزماني والحيز المكاني الذي بدوره ينتج دلالات تنبع من وحي الخطاب الروائي وحيثياته وتطور أحداثه وطبيعته، ويقود ذلك إلى استشراف العمق الأدبي في روايات المبدع أيمن العتوم، فيضفي تفاعلات نصية تنطلق من الفلسفة الأدبية التي تجسد نظرة العتوم لإنتاجات الموروث، وما يكتسبه النص المعاصر من ارتباطات وتشعبات دلالية لها حضورها وتمثيلاتها على مستوى الشكل والبنية، فهي تُلبي فلسفة التراث في الخطاب الروائي عند العتوم احتياجات المتلقين في ضوء إعادة فهم ذواتهم وكي وعيهم وإيقاظ ضمائرهم وتشويقهم في تلك الكتابة الواعية التي تعبر عن العمق الأيديولوجي والثقافي الرصين، فهي رسائل نصية لها شيفراتها التي تُؤثر على عملية فهم النص وتأويل مقاصده وتذوق جمالياته، وسيحاول المبحث التالي مناقشة ذلك.

المبحث الثالث

انعكاسات توظيف التراث على تبليغ مقاصد النص في بنية الخطاب الروائي عند أيمن العتوم

يعد استلهام التراث وتوظيفه داخل الجنس الأدبي في روايات العتوم، من السمات البارزة والخصائص العامة التي بنى عليها العتوم نظرته إلى الموروث وآليات تحويره وبوتقته في العمل الروائي الذي يتجه إلى مرتكزات أدبية لها أيقوناتها الموضوعية ومعادلاتها وبناءاتها الفنية، فاتّخذ العتوم من مادة الموروث نواة رئيسة عقد عليها منتجه الروائي، وليس بالضرورة أن يكون الخطاب الروائي مطابقاً لمادة الموروث بحذافيرها، لكان هو إياها، ولكن هناك إضافات وتحويرات

لها صداها الأدبي ومنحنياتها الدلالية التي تختلف من ناحية الفهم والتحليل بحسب عملية تلقي النصوص الروائية وتفكيك شيفراتها الدلالية بطريقة واعية لها أدواتها وأساليبها، فالناظر لطبيعة المنتج الروائي الذي وظّف من خلاله العتوم الموروث، يلمس بوضوح تنوع المتناصات في بنية النص الروائي العامة، واتّجهت هذه المتناصات ما بين النقل الحرفي في ضوء البنية السردية الكلية للنص، كما ذكرتُ في الأبيات الشعرية التي استحضرها من الموروث الأدبي، وأضف إلى ذلك قدرة العتوم الفائقة على تحوير المعنى الدلالي وتحليل مقاصده بطريقة يندمج فيها الموروث وينسبك مع الخطاب الروائي وسردياته وأوصافه، ويسهم ذلك في إثارة المتلقي ولفت انتباهه بطريقة واعية، تستدعي حضور المتعالقات النصية التي يحتوي النص الروائي المنجز على إشارات غير صريحة أو معلنة، ويمثل ذلك عامل استقطاب في التفاعل النصي المباشر مع الموروث، وإعادة فهمه في بنية النص الحالي، مع استرجاع أصل الموروث والوقوف عند حيثياته، خصوصاً إذا كان النص يتبع الموروث الديني؛ لأنَّ ذلك يجسد العاطفة الدينية ودرجة القداسة التي تتمتع بها عند أبناء الجنس البشري، فبلورة التوظيف الواعي للموروث عند العتوم هي إشارات تقدمية تخاطب العقل والوعي والوجدان البشري في سبيل الوصول إلى الحقيقة والاستهداء لعامل الحق والخير والجمال، هذه معادلات ضمنية وصريحة حملتها روايات العتوم، واستطاع الروائي بإبداعه أن يوظف ذلك لحسه الأدبي وإنتاجه الروائي بشكل مكثف ومعبر، يستهوي اهتمامات المتلقين، ويبرز في هذا المضمار التفاعل الحاضر مع النص الغائب؛ فالنص الجيد قادر دوماً على العطاء المستمر لقراءات متعددة، ومن هنا يظل النص منفصلاً عن القارئ ومتصلاً به في آن واحد، كما يظل فاعلاً ومؤثراً ومتأثراً، وتصبح عملية إنتاج النص الماثل عملية تشترك فيها النصوص الغائبة، باعتبارها الأدوات الأساسية للإنتاج مع النص الماثل، وباعتبار

القارئ هو الأداة الثانية في تفسير النص وتأويله، وتظل عملية القراءة هي عملية أخذ وعطاء، أخذ من النص، وعطاء له من قبل المخزون الأدبي والثقافي للقارئ[1]؛ بمعنى أن الموروث الذي يتعامل معه الكاتب هو في بداية المقام ونهايته نص لغوي، له حضوره في ذاكرة المتلقي الواعي الذي يستبصر أصول الخطاب الروائي، ويعلم مكامن النص وتكويناته وأطروحاته، وعلى ذلك يمثل هذا عامل التشاركية بين أقطاب العملية التواصلية ودائرة الإبداعي التي تشتمل على:(المبدع، النص، المتلقي)، ويُدرك حقيقة هذا العامل عند توظيف الموروث في صلب الجنس الروائي؛ لأنَّ الرواية عالم متناهي التركيب ومتداخل الأصول، وبنية نثرية فنية معقدة[2] لها خصائصها وسماتها التي تتجلى بها، فظروف الإبداع واستقراء الموروث يكسب الخطاب الروائي قيم موضوعية وفنية، ويُلاحظ التلاحم الحاصل في هذا المضمار من ناحية الشكل والمضمون؛ ويقود ذلك إلى التعامل مع النص الروائي المنجز بطريقة واعية تُدرك مرامي النص وغاياته ورسائله ومقاصده، وبمقدور المبدع الروائي أن يوصل ذلك من خلال المادة النصية والدلالية للموروث بشتى أنواعه، وبرز ذلك بوضوح في قدرة العتوم على صياغة الموروث بآليات وتقنيات ونسقيات كتابية لها آثارها في البنية العميقة والسطحية للنص الروائي المطروح في كتاباته الإبداعية التي تنتمي إلى جنس الرواية.

ويضع توظيف الموروث في صلب الخطاب الروائي عند العتوم، مرجعيات نصية ودلالية تُمكن المتلقي من فهم مجريات الأحداث والمواقف التي تشتمل عليها الرواية، ويستطيع من خلالها أن يوسع مداركه في الجوانب التفاعلية للتوظيف الأمثل لمادة الموروث، وهذا يُكسب المتلقي أبعاد فكرية وثقافية يشحن ذاته بها، وتوفر لها أساسيات ومنطلقات يستعيد من خلالها خلق النص من جديد، وإعادة

(١) عزام، محمد: النص الغائب- تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠١م، ص١١-١٢.
(٢) يُنظر: مرتاض، عبد الملك: في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد، منشورات عالم المعرفة، ط١، الكويت ١٩٩٨م، ص٢٥.

بنائه، وينتج عن ذلك مستجدات موضوعية متعمقة، ويسهم في فاعلية التأويل والتذوق الأدبي لطبيعة النصوص من منظور مادة الموروث طبيعتها، فيضيف ذلك مكونات ثقافية تعد ذخيرة بالنسبة للقارئ وتنعكس على النص ذاته من خلال الفهم الواعي، وحيوية التأويل للمقاصد والرسائل التي يحتملها النص المنجز، ولا يُقصد بذلك أن يحمل القارئ أو المتلقي النص ما لا يحتمل، خصوصاً في مادة الموروث؛ لأنه قد ينجم عن ذلك انحرافات وتشوهات حول موضوع مادة الموروث، ولكن ما يُقصد في نهاية المطاف أنَّ ذلك وفر عامل تنوير وتثوير لعملية الوعي والتفكير، لفتت انتباه المتلقي إلى عمق مادة الموروث وتفاعلاتها عبر الزمن والتاريخ، وشكل هذا الاستحضار بمضامينه السياقية الذكريات والأفكار والمشاعر التي توجد خارج الوعي الظاهر[1]، فهي تسبح في عوالم على شكل تيارات وفيضانات روحية، لها ارتباطاتها الاستراتيجي في نفسية المبدع ولها تأويلاتها واستدلالاتها عند المتلقي، فكل ما يدور في فلك مادة الموروث عند العتوم له عمقه الموضوعي والدلالي عند المتلقي، فهو إثارات متوالية عبر بنية النص اللغوي، تُوصل إلى التحليل المتعمق للبنية النصية في الخطاب الروائي الذي طرحه، خصوصاً بينة الموروث الديني والتاريخي والقومي، ومثّل ذلك حاضنة موضوعية لذات المتلقي؛ لأنَّ ذلك يستهدف تفكيره ويستقطبه حول طبيعة المادة الثابتة والمتغيرة عند توظيف الموروث، ويتطلب ذلك وعي ثاقب بين بنيتين قد يتطابقان وقد يختلفان، ويحقق ذلك في ذاته عامل التفاعلية مع المنتج الأدبي عند العتوم، فمجمل الإسقاطات والمجازات التي وظّفها العتوم في متن رواياته تقود إلى الطبيعة التنويرية المتمردة التي تدعو إلى فهم مقاصد النصوص بطريقة واعية؛ لأنَّ استخدام ذلك يعد انزياحاً واضحاً يختص بأساسيات النص وطبيعته، فاستخدام بنية النص في غير ما وضع له في الحقيقة لعلاقة ما، يُعد

(١) يُنظر: همفري، روبت: تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة وتقديم: محمود الربيعي، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة ٢٠١٥م، ص٢٨.

من الأصول التي ينبغي على القارئ أو المتلقي التقاط رسالتها الواعية؛ لأنَّ توظيف ذلك في حد ذاته يعبر عن درجة وعي العتوم في استخدامه، علاوةً على توظيف الموروث في هذه البنية المجازية، التي من شأنها أن ترفع من كثافة جماليات النص من خلال التصوير المشهدي لطبيعة الحدث الروائي وتدرجاته مع فصول الروايات؛ لأنَّ العتوم اعتمد في بناء معمارات رواياته على الفصول المعنونة بعناوين فرعية، فالعنوان يمثل ارتباط نصي متفاعل يتسم بالنوعية في بنيته وإنتاجيته الدلالية[1].

وتشكل هذه المعطيات في مجملها الفكرة العامة لبينة النص الروائي، فهي تترابط فيما بينها من خلال أطروحاتها ومكوناتها التي تشتمل عليها من أحداث وشخصيات وفضاءات ونسقيات وما إلى ذلك، فبرع العتوم في استخدام النسقيات الكتابية التأويلية عند توظيفه للموروث، فطبيعة بنية الأسلوب تنوعت في بنية النص الروائي، أضف إلى ذلك اعتماده على بنية الأفعال في خضم توظيف الموروث وأضفى ذلك دلالات متجددة ومتجذرة من ناحية المعني والدلالة علاوة على الوعي الكامل للطبيعة التنويرية للنص المطروح، فلم يكن أسلوب العتوم في الكتابة الروائية تقليدياً بقدر ما يتميز بالفصاحة والقصدية وشعرية المسرود في المتن الروائي، ويتماشى ذلك مع استلهام التراث وطبيعة التلقي المعاصر للنص المنجز ، فتوظيف الموروث بطريقة واعية يستخدمها الكاتب الروائي في بنية جنسه الأدبي، يُضفي على النص الروائي مرتكزات تأويلية على مستوى المضمون إضافة إلى الشكل الروائي، كاستخدام الدراما والحوار بنوعيه الداخلي والخارجي، ولا تخلو روايات العتوم من ذلك الراوي الحكيم والسارد العليم؛ فيقول الراوي: " جاءني هاتف من السماء، قال لي: " انظر إلى اللوح، ستجد فيه اسم أستاذك، خذ من كل ذات مما يظهر لك في اللوح الحرف الأول، واجمع بعضها إلى بعض يتشكل اسمه، حين تنطق به

(١) الجزار، محمد: العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة ١٩٩٨م، ص١٥.

سيمثل أمامك، لكن حذار من أن تقرأ الحروف قراءة خاطئة"[1]، يُلاحظ التوظيف الدرامي لطبيعة الأسلوب الروائي، وكذلك الراوي الخبير والحكيم والسارد العارف والعليم بمجريات الحدث الروائي ومآلاته، ويوفر ذلك عنصر التشويق لدى المتلقي ويدعم الرؤية الفنية ومشكّلاتها، واستعمال نسق علامة الاعتراض في متن الكتابة التي تفيد رسالة غير مباشرة من القارئ من أجل لفت انتباهه، وكذلك علامة التأثر التي تستدعي مشاركة المتلقي في فهم النص المنجز، وتوحي بالمشاركة العاطفية والوجدانية والعقلية، ويجسد ذلك الصدق الفني للموضوع؛ لأنَّ مشاركة المتلقي وشعوره بإحساس المبدع يعد من العلامات الفارقة التي أجاد فيها العتوم بأسلوبه الروائي، وكذلك الفراغات التأويلية التي تجسدها علامة الحذف في نسقيات الكتابة الروائية، التي تحتم على المتلقي تخيل الموقف أو استكمال المعنى، وتبرز تفاعلات ذلك عندما يتعلق الأمر بمادة الموروث واستحضارها في المتن الروائي، وكذلك وظف العتوم بكثرة أسلوب الاستفهام التعجبي والاستفهام العادي في بنية النص الروائي، ويشتمل ذلك على أسلوب غير محدد الإجابة؛ لأنَّ ذلك "طلب فهم"[2]، فجاء بصيغة نسق التساؤل النصي، الذي يستنطق المتلقي في عملية الإجابة الواعية؛ لأنَّ ذلك يرتبط بمجريات الحدث الروائي المطروح أمام المتلقي، نحو قول الراوي:" وعندما عدتُ في ذلك اليوم إلى البيت لم تقل لي أمِّي كلمة واحدة عمّا حدث، ولم تتوجه إليّ حتى بنظرة، ظلت مطرقة في الأرض، ولكنني قرأتُ في وجهها سؤالاً يتيماً:" ما الذي أحوجك إلى أن تفعل ما فعلت؟"، وفي الحقيقة كان هذا السؤال هو ذاته الذي ظلّ يخطر في بالي طوال ذلك الفصل الذي حدثت فيه تلك الحادثة!"[3]، وظف الكاتب الروائي سؤال مفتوح الإجابة يستدعي تدخل المتلقي لفهم مقاصده وأصول

(١) العتوم، أيمن: نفر من الجن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت ٢٠١٤م، ص١٦٠.
(٢) مطلوب، أحمد: أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، ط١، الكويت ١٩٨٠م، ص١١٨.
(٣) العتوم، أيمن: اسمه أحمد، ص٥٤.

تأويلاته، تتمثل في التناص مع مع إكرام الرسول لمن أساء إليه، عندما شكا له من ظلم، فقال الرجل: "ألا تقضيني يا محمد، فو اللَّه ما علمتكم يا بني عبد المطلب لمطل، فارتعدت فرائص عمر بن الخطاب كالفلك المستدير، ثم أومى ببصره إليّ و قال، أي عدوّ اللَّه! أ تقول هذا لرسول اللَّه و تصنع به ما أرى و تقول ما أسمع؟ فو الّذي بعثه بالحق لو لا ما أخاف فوته لسبقني رأسك، ورسول اللَّه ينظر إلى عمر في تؤدة و سكون، ثم تبسم و قال: لأنا أحوج إلى غير هذا: أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه، اذهب يا عمر فاقضه حقه و زده عشرين صاعاً من تمر، فقلت: ما هذا؟ قال أمرني رسول اللَّه أن أزيدك و كان ما دعتك: فقلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا فمن أنت؟ قلت: أنا زيد بن سعنة، قال: الحبر؟ قلت الحبر، قال: فما دعاك إلى أن تفعل برسول اللَّه ما فعلت و تقول له ما قلت؟"[1]، وكذلك استخدم علامة التأثر التي تتطلب المشاركة الوجدانية الظاهرة في أسلوب الكاتب من قبل جمهور المتلقين، ونستدل على الظواهر التأويلية السابقة التي تختزلها الرواية في مجريات أحداثها وفصولها وأقسامها، قول الراوي: " تحرك الشوق من النصف الإنسي في أعماقي؛ تذكرتُ أم سليم وسعدا من علام و الشيخ الناجر (عايد) وسرمد المسكين ومسعود... والآخرين. قال لي الأستاذ: عليك أن تتعلم أكثر. سألته: ومتى سأرى زوبعة؟! قال: من أكثر السؤال لم يأمن أن يُحرم الجواب؛ أجبته ببيت حفظته عن علام:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته××× ومدمن القرع للأبواب أن يلجا [2]

يتّضح أن الراوي وظّف الفراغات التأويلية والاستفهام التعجبي، واستخدم الحكمة من المورث العربي الأصيل في قوله " من أكثر السؤال لم يأمن أن يُحرم

(١) الطبراني، سليمان: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، باب الأحاديث الطوال، إسلام زيد بن سعنة (رضي الله عنه)، ٢٠٣/٢٥.

(٢) العتوم، أيمن: نفر من الجن، ص١٦٩.

الجواب"، وكذلك استحضاره لبيت الشعر العربي، مما يكثف من فاعلية المتلقي في تأويل النصوص وفهم مقاصدها، وتذوق جمالياتها، فكل هذه الإشارات تعمل على فاعلية التأويل للمعنى الروائي، وضمان حيويته في ضوء التداخل والتشابك بين مكونات الرواية، وبين شكلها ومضمونها وبنيتها ودلالتها.

خاتمـــة

بحمد الله انتهيتُ من هذا البحث، الذي اشتمل على كثير من التحليلات التي دارتْ حول فلسفة توظيف التراث في بنية نصوص الخطاب الروائي عند أيمن العتوم، فتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، من أهمها:

أولاً- النتائج:

١- ينطلق توظيف الموروث في روايات العتوم من بنية تنويرية لها استبصاراتها على مستوى الحدث النصي الأصيل، وعلى مستوى الحدث النصي في البنية العامة للرواية.

٢- ترتبط فلسفة توظيف التراث في روايات العتوم بمنطلقات ذات دلالات دينية وتاريخية وقومية لها أصولها وتمثيلاتها في البنية النصية العامة لرواياته.

٣- مثَّل التراث في روايات العتوم أبنية نصية متفاعلة شكَّلت مرجعيات أيديولوجية وثقافية بالنسبة للمتلقي، وشحنت النص الروائي من ناحية البنية والدلالة.

٤- وظَّف العتوم مادة الموروث عبر التاريخ والزمن في نسقيات لها تأثيرها في فهم مقاصد النصوص وتذوق جمالياتها، وتأويل شيفراتها الدلالية.

٥- برع العتوم في توظيف الإسقاطات والانزياحات النصية لمادة الموروث، وفق مجريات الحدث الروائي وتقنياته وآليات إنتاجه.

٦- يتسم النص الروائي في استعراض مادة الموروث وتوظيفها باشتماله على تفاعلات متداخلة بين شكل الرواية عند العتوم وبناءاتها الفنية ومعماراتها، وبين مضامينها ومعادلاتها.

٧- تعددت مصادر استلهام التراث وأحداثها الأدبية في سياق نصوص الخطاب الروائي عند أيمن العتوم، فأنتج ذلك تفاعلات لها ترابطاتها وأبعادها على النسيج النصي وفهم مقاصده ومغازيه وتلقي رسائله.

ثانياً- التوصيات:

١- دراسة طبيعة مادة الموروث وتكويناتها اللغوية وتشكيلاتها الفنية والموضوعية في روايات أيمن العتوم.

٢- البحث في منطلقات توظيف التراث وتكويناته في متن الخطاب الروائي عند أيمن العتوم.

٣- الكشف عن قيمة المادة التراثية في الأدب الأردني المعاصر، وتنظيم الفعاليات والأنشطة من مؤتمرات وندوات ومحاضرات وورشات وأيام دراسية واستكتابات خاصة بذلك.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

١. العتوم، أيمن: اسمه أحمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت ٢٠١٧م.

٢. العتوم، أيمن: كلمة الله، دار المعرفة، ط٣، القاهرة ٢٠١٥م.

٣. العتوم، أيمن: نفر من الجن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت ٢٠١٤م.

ثانياً: المراجع العربية.

١. بلحس، عمار: الرواية والأيديولوجيا، المطبعة والوراقة الوطنية، ط٢، مراكش ٢٠١٦م.

٢. التازي، محمد: السرد في روايات محمد زفزاف، مطبعة دار النشر المغربية، ط١، الرباط ١٩٨٥م.

٣. الجزار، محمد: العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة ١٩٩٨م.

٤. الحسيب، عبد المجيد: الرواية العربية الجديدة وإشكالية اللغة، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد ٢٠١٤م.

٥. الطبراني، سليمان: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٦. عزام، محمد: النص الغائب- تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠١م.

٧. مرتاض، عبد الملك: في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد، منشورات عالم المعرفة، ط١، الكويت ١٩٩٨م.
٨. مطلوب، أحمد: أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، ط١، الكويت ١٩٨٠م.

ثالثاً: المراجع الأعجمية:

١. إيغلستون، روبرت: الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جداً، ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي، دار المدى، ط١، بغداد ٢٠١٧م.
٢. ماتز، جيسي: تطور الرواية الحديثة، ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي، دار المدى، ط١، بغداد ٢٠١٦م.
٣. همفري، روبت: تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة وتقديم: محمود الربيعي، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة ٢٠١٥م.